تمثلات الشباب للمرأة، طلبة معسكر نموذجا

د/ جيلاني كوبيبي معاشو؛
قصير المهدي،
مخبر البحوث الإجتماعية والتاريخية،
جامعة معسكر

1/ مقدمة

تختلف الرؤية للمرأة من مجتمع الى آخر حسب كل ثقافة وحسب القيم الاجتماعية والإنسانية السائدة في كل مجتمع، وقد تمثل الناس صورة المرأة ـ المادية والروحية ـ بأشكال متباينة عبر الأزمنة وعبر الأمكنة، ففي المجتمع الجزائري المعاصر، تطرح قضية المرأة وموقعها في المجتمع من زوايا متعددة، منها الجانب السياسي والجانب الاقتصادي والجانب الثقافي والاجتماعي، ولعل التمثل الرمزي والثقافي لصورة المرأة في المجتمع يعد من القضايا الأساسية التي تهتم العلوم الاجتماعية بدراسته، و باعتبار فئة الشباب هي الفئة الأكثر حركية وإنتاجا للرموز الثقافية، فإننا سلطنا في هذه الدراسة الميدانية، أضواء البحث على تصورات وأبعاد التمثل الرمزي لصورة المرأة لدى هذه الفئة الاجتماعية متخذين من الطلبة الجامعيين عينة للبحث والدراسة من حيث أنهم فئة اجتماعية تمثيلية لفئة الشباب،كما أن الطلبة يتعايشون بشكل مستمر مع الطالبات اللواتي يمثلن الحضور الأنثوي في الفضاء الجامعي الذي يسمح بتكوين رؤى وتصورات متبادلة بين الجنسين، حيث أن "المرحلة الجامعية هي المرحلة التي يبدأ فيها الشباب بالنضج التدريجي وتتضح ملامح شخصيتهم وتتبلور، إن مخاطر الاختلاط في هذه السن اقل بكثير من الاختلاط في سن المراهقة أو الطفولة"(سهام الفريح ،2010: 04)

فقد أجرينا عددا من المقابلات (10حالات) مع الطلبة حول آرائهم في المرأة وماذا تمثل بالنسبة لهم، ثم ماهي الصورة الرمزية التي تعبر عنها في مخيالهم الثقافي الرمزي.

2/ المرأة في المجتمع الجزائري المعاصر

إن الحديث عن وضعية المرأة في المجتمع الجزائري المعاصر يسمح لنا بتحديد وفهم صورة الحضور الاجتماعي والاقتصادي لهذه الفئة من المجتمع ومدى مساهمتها في التنمية والحراك،مما يدفع إلى تكوين الصورة الرمزية عن دورها ومكانتها في المجتمع فقد " ظلت المرأة الجزائرية في زمن الاستعمار تعاني من الحرمان المطلق، وحتى بعد الاستقلال الذي حققته الجزائر سنة 1962 تواصلت حالة الحرمان مع اختلاف المسببات، ولكن الأوضاع تغيرت مع الزمن وتوفرت بعض الإمكانيات ففتح المجال واسعا للمرأة في مختلف مجالات الحياة العامة فأضحت متواجدة في قطاعات التعليم، الصحة، الإعلام والقضاء.. بل تعدى الأمر كل ذلك لتخوض المرأة معترك السياسة وأضحت تنافس الرجل على أعلى منصب في الدولة" (عبد الحق عباس، 2008: 18؛47)

بلغ عدد النساء في الجزائر 15 مليون و521 ألف امرأة حسب إحصائيات 2002 التي قدرت وجود مليون و321 ألف امرأة عاملة بنسبة 14.20٪ من مجموع الفئات العاملة في البلاد، وقد توصلت دراسة تحليلية حول وضعية تشغيل المرأة بالجزائر أنجزها المعهد الوطني للعمل وفرع منظمة فريدريش إبارت الألمانية بالجزائر، إلى أن نسبة نشاط المرأة الجزائرية في عالم الشغل تعد من أضعف النسب في العالم، كما توصلت الدراسات إلى أن نسبة التأهيل العالي عند النساء العاملات أعلى منه عند الرجال وغالبيتهن عازبات ويدخلن إلى عالم الشغل في سن أقل من الرجال وكثيرا ما تسند لهن مهام ووظائف بأجر أقل من مستوى تأهيلهن وشهاداته، وحسب المعطيات الإحصائية المتوفرة إلى غاية 2003 من طرف الديوان الوطني للإحصاء وغيره من المؤسسات، تبين أن الإدارة تبقى هي الأكثر استخداما للنساء بنسبة 48.4٪ من مجموع النساء العاملات و80٪ من هذه النسبة موجودة في الإدارات الصحية والتربية والتعليم، يليها قطاع القضاء الذي بلغت فيه نسبة القاضيات 34.75 ٪ من المجموع الكلي للقضاة، في حين تمثل المحاميات أكثر من ثلث المجموع العام للمحامين، وما يقارب 40٪ من أساتذة القانون هن نساء.

وأصبح قطاع الصناعة يستوعب عددا أكبر من النساء مقارنة بالسنوات الماضية، حيث كان 7.4٪ فقط من النساء العاملات يعملن في قطاع الصناعة سنة 1996 وارتفعت هذه النسبة إلى 24.2٪ في 2003،ويبقى تواجد النساء ضعيفا في قطاع التعمير والأشغال العمومية، بينما قطاع الفلاحة الذي كان يشغل أقل من 2٪ من النساء سنة 1996 وصلت النسبة به إلى 11٪ في 2003 مما سمح لظهور نساء مقاولات أو مستخدمات يملكن المؤسسات ويعرضن مناصب العمل.

ويشير الاتحاد الوطني للنساء الجزائريات أن دور المرأة في الحياة الاقتصادية يعرف قلة نسبة اليد العاملة النسوية في عالم الشغل التي لا تتعدى 883 ألف و549 منصب شغل من مجموع اليد العاملة المقدرة بـ 14.18٪، بحيث لا تمثل هذه النسبة إلا 11.55٪ فقط من عمال 55 ألف مؤسسة صغيرة ومتوسطة، إلى جانب نشاط بعضهن في بعض الأعمال والحرف اليدوية التقليدية غير المصرح بها في المنازل والتي تتواجد أكثر نسبة منها في الأرياف،وهناك أجيرات وعاملات في إطار التمهين بمختلف المؤسسات لا تقل نسبتهن عن 12٪ غير مصرح بهن للضمان الاجتماعي وبالتالي لا يدخلن في الإحصاءات الرسمية، كما أن هناك من لديهن عملا ويقمن بنشاطات ثانوية.

وعلى صعيد آخر كشف آخر تقرير لمركز الإعلام والتوثيق لحقوق المرأة والطفل أن المرأة "مهمّشة" منذ 40 سنة ذلك أن حضورها في المجالس ضعيفا بدليل أن وجودها في المجلس الشعبي الوطني يمثل نسبة 6 ٪ فقط، مقارنة مع نسبة 94 ٪ للرجال، كما أنه ضمن مجموع 144 عضو بمجلس الأمة 4 منهم فقط نساء أو ما تمثله نسبة 3٪ لا غير، وهي نسب تكاد لا تحتسب مقارنة مع منطقة المغرب العربي التي يكاد عدد النساء الممثلات فيها يوازي نصف العدد الإجمالي للسكان.

وفي ذات السياق صرحت المتحدثة باسم الاتحاد الوطني للنساء الجزائريات نورية حفصي أسفها تجاه ما أسمته بتقهقر حقوق المرأة سيما ما تعلق بمشاركتها في الحياة السياسية التي لم تتجاوز نسبة مشاركتها فيها 7.25٪، إذ لم تعرف تطورا مقارنة بالسنوات الأولى للاستقلال أين قدرت نسبة مشاركة المرأة في

المجالس التأسيسية بـ 7 ٪ وهي نسبة تبقى بعيدة مقارنة بالدول المجاورة كتونس مثلا، حيث تمثل المرأة نسبة 25 ٪ في المجالس المنتخبة (عبد الحق عباس، 2008: 18، 47)

إن الدلالات السوسيولوجية لهذه الأرقام والإحصائيات تؤكد مدى ما حققته المرأة الجزائرية المعاصرة من اندماج اجتماعي و اقتصادي وحراك ثقافي قد يدفع إلى تغيير الصورة النمطية عنها،تلك المتوارثة عبر الأجيال والمستندة إلى قوالب رمزية تقليدية لا تخدم التقدم والمساواة،هذا مع الأخذ بعين الاعتبار استمرار التهميش والمعاناة لدى شريحة واسعة من النساء الجزائريات،وكل ذلك يساهم في بناء التمثلات لدى فئة الشباب حول المرأة من حيث كونها - أي التمثلات - بنيات ثقافية رمزية تتأثر بشكل مباشر بوضعية المرأة في المجتمع من حيث الدور المسند إليها والمكانة الاجتماعية التي تحتلها،و هذا ما نتناوله بالتحليل و الدراسة فيما يلي من هذا البحث.

3/ التصورات:

توصلنا بعد استقصائنا لنتائج التمثلات اخاصة بالطلبة الذكور إزاء المرأة أنها تجسيد للفساد الأخلاقي بالنظر إلى أسلوب لباسها الفاضح ، لكنها في المحك الإجتماعي تعيش مزاحمة لل جل في كل شيء إذ تعرف اليوم صغة خاصة في الحياة ورغم هذا الإقرار الضمني لذلك إلا أن المستجوبين لا يعترفون لها بالتفوق خاصة وأنهم من خلال تصوراتهم دائما نجد فكرة الوصف المادي لها ولجمال جسمها ورشاقته تسيطر عليهم ...

كما لمسنا من خلال نفس الأقوال و كأنه العجز الذكوري والأنفة الرجولية التي لا تسمح لهم بالإعتراف بالمزايا الروحية والعقلية والإنسانية لها خاصة وأنهم لا يفقهون شكل القول الذي يذهب إلى اعتبارها ناقصة دين و عقل. وما يثير الإغتراب في كل ذلك أن هذه التمثلات تبقى مركزة على الجانب الأخلاقي لدرجة أننا نعتقد بأنه حكرا على النساء دون الرجال. بالإضافة إلى ذلك فهي عاجزة تحتاج دائما مساعدة الرجل الذي يتميز بالقوة، و تتميز المرأة اليوم حسب تصوراتهم بأنها

إنسان مذنب لأنها تخلت عن دورها في التربية أما الجوانب البارزة في في حياة المرأة والتي تجعل منها إنسانا حيويا يقدم الكثير للبشرية فهناك إخفاء له و تغافل من قبل هؤلاء عنه لأنه عدم الإعتراف أو إن صح التعبير الرفض البارز للندية عند المرأة إزاء الرجل، حيث تبقى حسبهم كائنا عاطفيا ناقصا للعقل، وهي مادية لدرجة لا تتصور، ونلاحظ من خلال المقابلات أن عناك تناقضا كبيرا، انطلاقا من الإعتراف الكبير بأنها رغم كل ذلك أساس المجتمع. فإن هؤلاء المبحوثين يؤكدون على أن العقل و الأخلاق عم أولى عنند انتقادهم للمرأة لكن الجمال يعتمد بالدرجة الأولى عند الزواج و تتميز المرأة بأوصاف خاصة في مخيال هؤلاء الشباب الذين يقترحون التسميات التالية : زجاج – مرايا – بومبا – فيلم – حبة ، حبة نيميريك – جهد – فور – غريفا – سم – حبة قليلة – حبة مادارتش في السوق – حوتة – هبال – مانكان Mannequin – شدة طرطيق.

4/ الإستنتاج :

ما يمكننا استخلاصه من هذه المعاينة أن الهمينة الذكورية مازالت سائدة وأن هناك إهمال كبير للأوصاف النوعية للمرأة كالأخلاق والعقل والذكاء والتميز والقدرة على الصبر والطموح إن هذه التصورات تعبر عن الخوف الدفين من المرأة و الذي عبرت عنه نوال السعداوي بأن الرجل دائم الخوف من المرأة لأنه صنع عالما ذكوريا هو السيد فيه ويخاف من تهديد سلطته و سطوته حيث يتيح لنفسه ما يحرمه على المرأة، ويفهم من كل هذا أن هناك ضعف دائم أمام المرأة يبدأ من الضعف الجنسي إلى الضعف النفسي من أجل الإبقاء على رفض المساواة والتكامل مع المرأة بدليل وصفها بالجنس الآخر أو الجنس اللطيف و إن كان أحيانا الخطاب المنافق يتناقض مع السلوك الواقعي العقلي الذي يبجل المرأة ويقدسها ولكن في نفس الوقت يحتقرها ويحط من قيمتها على مستوى الممارسة

إن كل هذا يقف على استبطان الرؤية الذكورية لدى الرجل العربي الذي كان يحبس المرأة في الخيمة ويضع حولها الحراسة ويحرمها من جميع حقوقها

خوفا ما العار والفضيحة وهذا إذن رجوع مستمر للمكبوت وحنين دائم إلى تلك الوضعية .

بالإضافة إلى ذلك فإن العنف الرمزي المسلط على المرأة جعلها تتبنى قيما لمحاكاة الرجل لكن حقيقة الأمر هي أن حتى بعض المبحوثات يعرفن بالإختلاف بين الرجل و المرأة حيث صرحت حداهن قائلة بأن المرأة مرأة والرجل رجلا

بيبليوغرافيا:

- **سهام الفريح** ، النهار الأربعاء 01 ديسمبر 2010 عدد 1109 **الاختلاط بين الجنسين بالحياة الجامعية** 04- 2010 annaharkw.com/annahar/Article.aspx?id=241719
- **عبد الحق عباس** :**حواء ضحية قمع ثقافي واجتماعي وآخر سياسي في الجزائر** 05- 2008 http://etudiantdz.net/vb/t1198.html
- **عبد الحق عباس حواء ضحية قمع ثقافي واجتماعي وآخر سياسي في الجزائر** مرجع سبق ذكره